

احمد النيشي

اضافة ومناقشة

احمد زيادي

في البداية، ابدي اعجابي بالتهج الأصيل الذي ارتأت مجلة (الثقافة الجديدة) ان تنهجه ؛ وهو نفضُ الغبار عن بعض تراثنا المغربي الحديث، والتذكير به، او التعريف به ونشره. وتلك خطوة أولى لدراسته وتقويمه، تمهيدا لكتابة تاريخه الذي لا يعرف منه الا النزر اليسير، والنبد القليل.

وقد اطلعت في العدد الأخير (23)، من المجلة، على القسم الأول من كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) لاحمد النيشي، وقرأت ما كتبه الأخ محمد بنيس تقديمًا له، وشئت ان اسهم في التعريف بالكاتب والكتاب، بهذه المعلومات الموجزة، وهي مستقاة من ترجمة لأحمد النيشي، نشرت بجريدة (السعادة) تحت عنوان : (ترجمة العلامة الاديب : السيد احمد النيشي)، مع صورته، لكاتب لم يثبت اسمه، ولعله محرر الجريدة المذكورة، او احد مساعديه. وذلك بالعدد 5005، المؤرخ ب 17 يوليوز 1940 ص 1، 2، بمناسبة عزم المترجم على لقاء محاضرة في الغداة (1940/7/18)، لم تشر الجريدة الى موضوعها، ولم تتمكن من التعرف عليه خارجها، ولعله يدخل ضمن تلك المحاضرات الاذاعية التي كانت تنظمها الاقامة العامة، وتفسح لنشرها والدعاية لها عبر امواج الاذاعة، وعلى صفحات جريدة (السعادة)، أيام هزيمة فرنسا أمام ألمانيا النازية.

وكان بودي، قبل كتابة هذه السطور، ان اعود الى بعض المراجع التي يفترض فيها ان تكون قد ترجمت للاديب احمد النيشي، مثل : (زبدة الاثر مما مضى من الخبر، في القرن الثالث والرابع عشر) ومختصره (اتحاف المطالع، بوفيات رجال القرن الثالث عشر والرابع) وهما مخطوطتان للمرحوم عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري، صاحب (دليل مؤرخ المغرب الأقصى)، غير اني لم اتمكن من ذلك.

أولا ترجمة احمد القميشي : (1308 هـ / 1890 م — 1387 هـ / 1967 م).

أ — نسيه : هو احمد بن المفتي الأكبر محمد (فتحاً) ابن الاستاذ محمد بن احمد بن المختار بن القاضي، الادريسي الحسني نسيباً، القميشي لقباً، التلمساني الاصل، الفاسي المنشأ والاستيطان والدفن.

ب — تعليمه وشيوخه : تربى في حجر والده، وقرأ بعض القرآن الكريم على عم والده محمد الاطرشي، وفي اواخر سنة 1326 انخرط في زمرة العلم بالقرويين، فلازم دروس كثير من مشايخها مثل :

- 1 — محمد (فتحاً) الابرازي رفيق والده (— 1329).
- 2 — أبي الفضل عبد السلام غازي قاضي طنجة، المتوفى بها سنة 1352.
- 3 — أبي العباس احمد بن الخياط، رئيس المجلس العلمي الأسبق.
- 4 — احمد بن الجليلي رئيس المجلس العلمي السابق.
- 5 — مولاي عبد الله العلوي الفضلي، رئيس المجلس المذكور.
- 6 — أبي زيد عبد الرحمن بن القرشي قاضي فاس ووزير العدالة (— 1939)
- 7 — أبي العباس مولاي احمد بن المامون البلغيشي (— 1348)
- 8 — أبي شعيب الذكالي (— 1356 / 1937)
- 9 — محمد بناني.

«هؤلاء هم الذين لازمهم، وتربع في حلقهم المدة الطويلة، وهناك كثير من اهل الفضل والعلم حضر في مجالسهم، واغترف من حياض معارفهم وتلقى منهم غُرراً ودرراً» (1) مثل :

- 1 — القاضي عبد السلام الهواري.
- 2 — محمد بن قاسم القادري.
- 3 — الناسك التهامي بن المدني كنون (— 1331)
- 4 — عبد الصمد بن التهامي كنون (— والد العلامة عبد الله كنون).
- 5 — الفاطمي الشراذي.
- 6 — محمد بن رشيد العراقي (— 1348)
- 7 — القاضي ابي فارس عبد العزيز بناني.
- 8 — المحدث الناسك ابي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني.
- 9 — عبد الحي الكتاني.
- 10 — محمد بن العربي العلوي
- 11 — الرضي السناني.

12 — محمد به عبد الحي اقصي (— 1364 / 1945).

ت — اجازاته :

1 — في المغرب : اجازته احمد بن الحياض، والمكي البطاوري الرباطي (— 1354 / 1936) عند قدومه لفاس.

2 — في المشرق : اثناء سفره لأداء فريضة الحج سنة 1351 :
في القاهرة : اجازته مشافهة مفتيها وعالمها الشيخ بخيت، واجازته كتابة احد مسنديها،
والشيخ طنطاوي جوهرى صاحب التفسير الشهير.
في مكة : اجازته مشافهة الشيخ عبد الستار الهندي والشيخ عمر حمدان التونسي.
في المدينة : اجازته كتابة الشيخ العمري الجزائري، والشيخ صالح بن الفضيل
التونسي.

ث — وظائفه :

انقطع عن الدراسة سنة 1336، لينخرط في سلك الوظائف بصفة عدل بنظارة
احباس المارستان بفاس (المعروف الآن بسوق سيدي فرج، قرب الضريح الادريسي).

وفي سنة 1349 رقى لنظارة احباس صفرو لمدة ثلاثة اعوام، رقى بعدها لنظارة احباس
الجديدة ومضافاتها لمدة ستة اعوام.

وفي أوائل 1940 عين ناظرا لاحباس المارستان بفاس.

ورغم انقطاعه عن الدراسة، واشتغاله بالوظيفة، قد ظل يقوم بجهود ادبية كبرى، ف :
«خلال هذه المدة كان يرقى في المراتب العلمية من مرتبة الى اخرى، اذ أدخل للمرتبة الرابعة
سنة 1333، اثر امتحان اجري له ولبعض نبغاء التلاميذ اذ ذاك أمام اعضاء المجلس العلمي
وقتئذ، وبعد ذلك بقليل رقى للمرتبة الثالثة، ومنذ سنتين نظمته وزارة العدلية في سلك اهل
المرتبة الثانية»(2).

ج — بعض اخلاقه :

ومما عرف عنه انه : «كان في سائر الولايات التي ولها، مثال الموظف التقدير النشيط
والنزيه، يقوم بالأعمال التي يختصها عليه وظيفه مع لين عريكة وحسن خلق، ومعاملة للناس،
بحيث لم ير طول مدة خدمته مشكلة بين الأعباس والناس»(2).

ثانيا الكتاب :

سدو أن كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) الذي نشرت مجلة (الثقافة الجديدة)

قسمه الأول، والذي استغرب الاخ بيبس في تقديمه له خطأ الاستاذ ابراهيم السولامي في كتابة عنوانه : «اذ حصره في الشعر والشعراء بفاس» فيما هو «تاريخ الشعر والشعراء بفاس»(3)، يبدو انه ليس هو الآخر الا تلخيصا لتأليف اكبر واشمل منه.

يقول كاتب الترجمة — والتشديد مني — :

— — —

«فقد وضع تأليفا كبيرا في تاريخ الشعر والشعراء بفاس، منذ اسست الى الان، لايزال في مسودته، ومنه اختصر مسامرته التي القاها بنادي المحاضرات من المدرسة الثانوية الادريسية بأبي الجنود سنة 1334»(4).

وصدّر كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) بهذه العبارة :

«وهي المسامرة التي ألقاها..»

وذكر محمد بن العباس القبايج في كتابه (الأدب العربي في المغرب الاقصى) أن براعة الفيني في النثر يُدرك : «انرها من كتابه تاريخ أدوار الشعر والشعراء بفاس»(5).

ويستفاد من هذه النصوص :

(1) ان استعمال كاتب الترجمة للفظة (كبير) ليس للدلالة على كتيب يقع في 97 ص، وهي الصفحات التي يشتمل عليها كتاب (تاريخ الشعر والشعراء بفاس)، الذي شرعت مجلة (الثقافة الجديدة) في نشره.

(2) ان عبارة (لا يزال في مسودته) المكتوبة في يوليوز 1940، تعني ان اصل الكتاب مسودة كبيرة، ليست هي الكتيب المنشور سنة 1924.

(3) ان الكتاب المنشور بعنوان (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) هو مختصر لذلك التأليف (الكبير) الذي (لا يزال في مسودته) حتى يوليوز 1940، اختصر ليلقي محاضرة ثم طبع على صورته التي لخص بها. وتلك ظاهرة معهودة في التأليف المغربي والعربي، قد يقوم بها المؤلف نفسه مثل كتاب (ازالة الالتباس عن قبائل سكان مدينة فاس) لعبد السلام بن سودة وتلخيصه (قطف ازهار الآس، من روض ازالة الالتباس). و (تاريخ تطوان) المطول و مختصر تاريخ تطوان) للاستاذ محمد داود.

وقد يقوم بالتلخيص غير المؤلف مثل : (الاغبياط بتراجم اعلام الرباط) لمحمد بوجندار الذي لخصه محمد بن محمد بن الموقت المراكشي بكتيب عنوانه ب (الانيساط بتلخيص الاغبياط)...

4) استبعد ان يكون الكتاب الاصل بنفس عنوان التلخيص/ المسامرة المنشور، وذلك لضرورة التمييز بينهما، كما جرت العادة، وكما هو واضح من الأمثلة الواردة في الفائدة الثالثة اعلاه. وأرجح ان عنوان الكتاب الأصل الذي لا يزال مسودا، هو (تاريخ ادوار الشعر والعشراء بفاس)، وهو العنوان الذي ذكره القباچ، وقد كان اقرب الى الكتاب، وبه أعرف من كل الذين كتبوا عنه.

والذي يزيد هذا الترجيح عندي، هو ان القباچ لم يذكر الكتاب بعنوان (تاريخ الشعر والعشراء بفاس)، ولعله اثر ذكر العنوان الأم على ذكر عنوان التلخيص الذي كان حديث الطبع آنذا (صدر في 1924، وكتاب القباچ في 1929)، ولا يمكن ان يوصم القباچ بالغلط، ولا ان يتهم بعدم الاحتراز، ولا ان يرمى بقلة التحري، وهو ناقد عصره الفذ، خاصة وموضوع القسم الثاني من كتاب التميمي المختصر ومنهجه فيه هو نفس موضوع كتاب القباچ ومنهجه، مع اختلاف غير كبير في مضامين التراجم واشكالها، وكميات المختارات المثبتة للمترجمين. بل لعل القباچ اهتم بكتاب التميمي اكثر من غيره من المثقفين المغاربة المعاصرين له، لانه، في ما أعلم(6)، اول كتاب مغربي مطبوع في موضوع تاريخ الشعر المغربي. وأكد اجماعه انه كان من اهم الحوافز التي دفعت القباچ الى تأليف كتابه(7).

قبل الختام اود ان اشير الى ثلاث ملاحظات شكلية :

1 — كان على الاح بنيس، وهو يقدم صاحب كتاب (تاريخ الشعر والعشراء بفاس) ان يضيف الى (الشاعر)، الكاتب او الناقد، لانه من جهة يصدد تقديم عمل من اعمال احمد التميمي الثرية النقدية، ومن جهة اخرى لان احمد التميمي لم يشتهر كشاعر كما اشتهر الكثير من انداده الشعراء ممن ترجم لهم القباچ، وذلك لاسباب تتعلق بشعره، واخرى تتعلق بتكوينه الثقافي وموهلاته الشعرية.

أما شعره فشعر الحقيقة، لا مجال للخيال فيه، وقد تقرأ له قطعاً في متنوع الاعراض لا تكاد تجد فيها اثراً للخيال ولا للزخرفة والتنميق كما اعتدناه في اغلب الشعراء، بل يكتفي بتقريب المعنى اليك بلفظ جزل واسلوب جميل»(8).

وهذه الصفات اذا توافرت في شعر، فانها لا تبوي صاحبه مقاما يؤهله لان ينعت ب (الشاعر) ومن ثم يكون هذا النعت من باب وصف الانسان باضعف شيء فيه.

وربما يكون التميمي نفسه قد احس بقصر باعه في هذا الميدان، وتعاضب بضاعته وتكوينه واستعداده مع الفحولة الشعرية التي يتطلع اليها كل شاعر، فانصرف عنه الى النثر.

يقول القباچ : «وقد رأينا هجر الشعر في هذه المدة(9)؛ منصرفاً عنه الى النثر الذي برع فيه براعة جيدة..»(10).

2 — ان الاستاذ ابراهيم السولامي يقول في ترجمته : «للميشي شعر وفير بجريدة (السعادة) التي كان احدا كتابها المنتظمين» (11).

والحق انه لم ينشر بجريدة (السعادة) شعرا وفيرا مثل عبد الله القباج ومحمد معمري وياكب وبوعشرين وغيرهم. وان القصائد التي نشرها الميشي بجريدة (السعادة) لا تعد شيئا يستحق ان ينعت به دون غيره من فنون نشاطه الادبي الاخرى كمقالاته وكتابات الوافية والجيدة. يقول القباج دالا على براعة الميشي في النثر في كتابه المتحدث عنه آنفا، وفي : «مقالاته المتعددة التي تعني السعادة بنشرها في افتتاحية بعض اعدادها (12).

أما انه كان احدا كتاب (السعادة) المنتظمين، فهذا صحيح، وقد عثرت له على شعر وكتابة ببعض اعداد هذه الجريدة، التي أتت لي الاطلاع عليها، منذ سنة 1915.

يقول كاتب ترجمة الميشي ب (السعادة) : «وتحتوي جريدة السعادة على صفحات عديدة ضمنها مقالات متنوعة، يوم كان يقوم بمراسلتها من هذه العاصمة الادريسية. وقد كان القراء يتشوقون لنشر مقالاته التي كان يعالج فيها مسائل هامة بقلم سيال وانشاء بديع (13).

ويحتم ترجمته للميشي بهذه العبارة التي تؤيد ما اراه، وهو اشتهار الميشي ونبوغه في الكتابة النثرية، من تأليف وكتب ومقالات ومحاضرات... اكثر من بروزه في نظم الشعر، فيقول — والتشديد مني — :

«وبالجملته فالفقيه الميشي من خيرة اديباء هذه الابهالة، وان من الحسبان البين للأدب ان تحجب الوظائف اقمارا لامعة في سمائه» (14).

وكذلك نعته القباج بالأديب (15)، ولم يخصه ب (الشاعر)، مع انه ترجم له كشاعر. وكذا مترجمه بجريدة السعادة.

3 — ان الاستاذ ابراهيم السولامي ذكر ان الميشي «ولد بفاس وبها مات في سنة 1967» (16) لا في سنة 1964 كما جاء في تقديم الاخ بنيس (17).

* * *

وفي الختام، اود ان اؤكد ان المجال الطبيعي لابداع احمد الميشي وكتابه هو النثر (مقالة ودراسة ونقدا وتاريخا وفقها). وليس في ذلك اي نيل من قيمته، فلا تفاضل بين الفنون الادبية، كما هو معلوم، وانما في قيمة التجربة الأدبية المعبر عنها، واننا لنسئ الى الشخص، من حيث اننا نريد الاحسان اليه، حين نقحمه في ميدان ليس هو الميدان الذي نبغ فيه، ونؤد فيه اقرانه، وحقق فيه ما لم يحققه سابقوه ومعاصروه.

ان الأديب احمد الميشي، الذي يعتبر : «من أول حملة الاقلام بالمغرب» (18)

ليستحق أكثر مما أعطى له من الاعتبار والشهرة، لو أتبع له من يدرسه في مجال تخصصه واجادته واستعداده من خلال مخطوطاته المتوارية في خزائن ورثته او غيرهم، تأكلها الأرضة ، ويطوبها النسيان.

وانه ما كان له ان ينال ذلك، وهو نصيب في قسمة ظفري، لولا مؤلفاته الثرية الوفيرة والمتنوعة المواضيع التي تشهد له بعلو كعبه في الكتابة والتأليف.

وبالإضافة الى كتابه (تاريخ ادوار الشعر والشعراء بفاس) المخطوط، ومختصره (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) والعديد من المقالات والافتتاحيات المنشورة بجريدة (السعادة) والمحاضرات الملقاة والمداغة، يذكر له مترجمه بجريدة (السعادة) كتابا مخطوطة أخرى، يقول : « كما حرر تأليفا ادبيا ممتعا ضمنه تراجم من نطقوا بكلمات فلقبوا بها، وله تقايد اخرى ادبية وعلمية وتاريخية، ويعرف من تاريخ فاس ورجالها، وخصوصا ما يتعلق بمسالكها، الشيء الكثير.» (19).

ان تعاطي احمد التميمي الشعر لا يخرج عن تقليد ادبي عريق يرتبط بالثقافة العربية عامة، فالأديب، بالمفهوم التقليدي، هو الذي يقوى على التعبير، بمختلف فنون القول، او على الاقل بأكثر من فن، وهكذا نجد جل الادباء يستهلون حياتهم الابداعية بقرض الشعر او المزاوجة بين الكتابة والنظم، ثم لا يلبثون ان يكتشفوا المجال الادبي الذي يوافق ميولهم ومواهبهم وثقافتهم وطبيعتهم، وغالبا ما يتخلى غير الموهوبين في الشعر عن معالجته شيئا فشيئا حتى يهجروه مثل : المنفلوطي وطه حسين والملازني واحمد بن خالد الناصري (المؤرخ) واجيه محمد (فتحا) وجعفر، والغالي الطود وعبد الوهاب بن منصور، ومحمد المكي الناصري ومحمد داود...

وبعضهم اجادوا الشعر والنثر معا، ولكنهم لأسباب ذاتية خاصة او لظروف اجتماعية وسياسية اثروا التفرغ للنثر او قدموه على الشعر مثل : ميخائيل نعيمة وجبران ومحمد المختار السوسي وابراهيم الالفي وعلال الفاسي.

ارجوا ان اكون بهذه الاضافة الموجزة، وهذه المناقشة البيرية قد اديت بعض الواجب نحو ادب مغربي لم ينل بعد نصيبه المستحق من العناية والدراسة رغم انه كان من الكتاب المغاربة البارزين خلال العقود الاربعة الأولى من القرن العشرين.

هوامش :

(1) ترجمة العلامة الأديب : السيد احمد التميمي، جريدة (السعادة) 1/5005.

(2) نفس المصدر : 2.

(3) الثقافة الجديدة، 127/23.

4) السعادة : 2/5005.

5) الأدب العربي في المغرب الأقصى. الرباط ط 1 - 1929/1347 م جزآن، ج 1/78.

6) اذا أخذنا بالمفهوم الواسع لكلمة المغرب، التي كانت تطلق على المغرب الأقصى وموريتانيا والصحراء المغربية، قبل ترميق الاستعمار ل وحدته، اعترفنا بالسبق لاحمد بن الأمين الشنقيطي بكتابه (الوسيط في تراجم ادباء شنقيط) الذي طبع بالقاهرة في سنة 1329/1911.

7) كما أن كتاب القباچ سيكون، بلا ريب، حافظا ل (صالح ابو رزق)، وهو احد كتاب (السعادة) وشعرائها، الى التفكير في الفاء محاضرة ضمن المحاضرات التي كانت تنظمها جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا، في موضوع (الشعر العصري في المغرب الأقصى)، ونشر نداء بجريدة (السعادة) سنة 1935، يدعو فيه مجموعة من الشعراء المعاصرين المغاربة الى امداده بشيء من قصائدهم ليعتمدها في محاضرته.

8) الأدب العربي في المغرب الأقصى، 77/1.

9) الحق انه لم يهجر الشعر بصفة نهائية، فقد نشر بعض شعره بجريدة (السعادة) سنة 193.

10) الأدب العربي في المغرب الأقصى 77/1، 78.

11) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية (1912 - 1956)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح 1974 : 264.

12) الأدب العربي في المغرب الأقصى، 78/1.

13) السعادة 2/5005.

14) نفس المصدر والصفحة.

15) الأدب العربي في المغرب الأقصى 77.76/1.

16) الشعر الوطني المغربي : 264.

17) الثقافة الجديدة، 127/23.

18) دليل مؤرخ المغرب الأقصى عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري الدار البيضاء، دار الكتاب ط 2،

1960، جزآن، ج 1/39.

19) السعادة، 2/5005.